مظاهر التجديد في شعر أبي تمام

✍ د. بشير أحمد يوسف عمر *
✍ د. محمد عبد القادر الأمين **

المستخلص

هدفت الدراسة إلى إبراز الدور الذي قام به أبو تمام في صناعته للشعر وخاصةً أن الشعر ديوان العرب الخالد، اتبعت الدراسة المنهج التحليلي والوصفي، و تناولت الدراسة اسم أبي تمام ونسبه، ومولده وموطنه وأسرته التي تربى في كنفها، كذلك تناولت مؤلفاته ووفاته، وأخيرًا مظاهر التجديد في شعره .توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها :

إنَّ أبا تمام قد أثار مسائل في الأدب والنقد ظلت ساكنةً ردحًا من الزمان وأتى بالجديد فتنازع الناس حوله قدحاً ومدحاً، كما أن ظهور أبي تمام كان إيذاناً بأفول نجوم كثيرة من الشعراء الذين عاصروه، وأيضاً أن أبا تمام ذو صلة عميقة بالشعر العربي قديمه وحديثه وقد أفاد منه في بناء الأدب وتوليد المعاني. وولعه الزائد بالبديع وألوانه والإغراب وصنوفه، والتجديد ومجالاته. توصي الدراسة بمعالجة ديوان أبي تمام بحيث يفيد منه الدارسون خاصة فيما تميز به عن غيره من الشعراء والأدباء. كما توصي الدراسة بالاهتمام بشعر أبي تمام دراسةً وشرحاً وتحليلا ومقارنةً.

ABSTRACT

This study is intended to highlight what Abu Tammam had done in improving poetry for it is known that poetry is the perminant Arab book of poetry. The study adopts the descriptive analytic, decerdence, birth, country and family of Abu Tammam it also studies his writings and death. Finally, the study takes the elements of innovation in

* أستاذ البلاغة والنقد المساعد ، جامعة البطانة ، كلية التربية رفاعة.
** أستاذ الأدب والنقد المساعد ، جامعة البطانة ، كلية التربية رفاعة.

s poetry. The study reached a number of results. From these results, 'Abu Tammaman Abu Tammam ignited many issues in literary criticism which had remained untacked for a long period of time. He introduced some new issues around which people struggled and debated positively and negatively. Also, the appearance of Abi tammam signaled the end of many of those lived at his time In addition , Abu Tammam had strong relation with the Arabic poetry , and new.As aresult many benifited from this feature in litrary warks and the generation of meanings.

Finally ,Abu Tammam was ex fond of different semantic forms ,and the unfami types of it .He was also fond of innovation in poetry and its v spheres , In the light of these resalts ,the study recommends the caseful treatment of Abu Tammam poetry to benefit students , other poets and writers . The study also to the due attention and comparative studies of Abi Tammam poetry .

المقدمة :

إنّ للشعر عند العرب أهمية كبرى؛ إذ كان وما زال ديوانهم الخالد الذي يسجلون به أمجادهم وتاريخ آبائهم الأجواد وكرائمهم الأنجاد، بلغ اهتمام العرب بالشعر أن عمدوا إلى قصائد بعينها استحسنوها واستملحوها، فكتبوها بماء الذهب وعلقوها على جدار الكعبة، التي هي أول بيت وضع للناس ببكة، إذ كان بعض العرب على الحنيفية، والبعض الآخر على غير ذلك، وفئة أخرى قامت بتعليقها على خزائن الحكام والملوك، وكذلك كانت العرب لا تهنأ إلا بثلاثة من بينها الشاعر الذي ينبغ، ولعل تلك هي البدايات الأولى للنقد الأدبي. وبمرور الأزمان وتوالي الحقب برزت العديد من المصطلحات النقدية، ومن أبرزها الطبع والصنعة، إذ أصبح هذا المصطلح وسيلة للنقد في الحكم على الشعر، وهدف النقد الاهتمام بالشعر من حيث جودته ورداءته، وفي تمييز غثه من سمينه، وهنالك الكثير من المعاني المصطلح عليها عند النقاد،منذ العصر العباسي وحتى زماننا هذا .

إنَّ الشعر بطبيعته ينحصر في أمرين محوريين: هما العادة، ويقصد بها البساطة والوضوح، التي تؤكد التفوق والابتكار في النقد الذوقي، أمّا الِشقَ الأخر هو خرق العادة إذ يمثل خروجاً قصدياً على المألوف، غرضه عدم فاعلية السائد، مما يستدعي إلغاؤه.

إنَّ قدامى النقاد من الأمة العربية وجهوا عصارة تجاربهم ومعارفهم بمضايق الشعر ونقده،إذ تحدثوا عن اللفظ والمعنى، كما تحدثوا عن تشابك النقد والبلاغة، والسرقات الأدبية، كما فصلوا القول عن الألفاظ والمعاني، فلم يقصر بهم الباع عن الحديث في الطبع والصنعة، ولعل من أشهر النقاد وأقدمهم بشر بن المعتمر صاحب الصحيفة المشهورة التي أوصى فيها الشعراء باقتناص أوقات فراغهم ونشاطهم إذ يقول :" خُذْ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك، فإنّ قليل تلك الساعة أكرمُ جوهراً، وأشرفُ حَسباً، وأحسن في الأسماع، وأَحْلى في الصُّدور، وأسلم من فاحش الخَطأ، وأجلبُ لكُلّ عين وغُرّة، من لفظ شريف، ومَعنى بديع، واعلم أنّ ذلك أَجدى عليك مما يُعطِيك يومُك الأطْول بالكدّ والمُطاولة، والمُجاهدة بالتّكليف والمُعاودة، ومهما أَخطأك لم يُخطئك أن يكون مقبولاً قصداً، وخَفيفاً على اللسان سَهْلاً، كما خَرج من يَنبوعه، ونَجم من مَعدنه؛ وإياك والتوعّرَ، فإن التوعّر يُسلمك إلى التَّعقيد، والتّعقيد هو الذي يَسْتهلك مَعانيك، ويَشين ألفاظَك. ومَن أراد معنًى كريماً فَلْيَلْتمس له لفظاً كريماً.... "[1]

ثمَّ جاء ابن قتيبة متحدثاً عن تلك القضية النقدية المهمة إذ قسم الشعراء إلى قسمين : متكلفون ومطبعون، كما قسم النصوص المنتجة إلى متكلفة ومصنوعة، إذ ورد في كتابه فالمتكلف هو الذي قوّم شعره بالتقاضي .

إنَّ أبا تمام صاحب منهج فريد في نظم الشعر، فلا غرابة في ذلك إذ ولد ونشأ في عهد ازدهار الأدب، وانتعاش موضوعاته وأغراضه، مع الالتزام بشكل القصيدة من ناحية العروض والقوافي، ونراه عاش في عهد أساطين الشعر ؛ إذ ظهر في العصر العباسي العديد من الشعراء الذين ملأوا الدنيا وشغلوا الناس، فكان صريع الغواني، وأبو الطيب المتنبئ، وبشار بن برد، والحسن بن هاني، وأبو العتاهية، كل شاعر من هؤلاء مدرسة خاصة في نظم القريض وتفرد

[1] ابن عبد ربه، محمد بن عبد ربه الأندلسي.

المعاني، وابتكار الألفاظ، فذهب بعض النقاد إلى أنَّ أبا تمام شديد التكلف صاحب صنعة ويستكره الألفاظ والمعاني، وشعره لا يشبه أشعار الأوائل ولا على طريقتهم، لما فيه من استعارات بعيدة ومعاني مولدة. إنَّ إكثار أبي تمام من استخدام اللغة بمجازها – ولعل من ابرز المجاز عنده الاستعارة – هو الذي جر عليه نقد النقاد اللاذع.

اسمه ونسبه :

هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحي بن مروان بن مرة بن سعد بن كاهلة ابن عمرو بن عدي بن عمرو بن الغوث بن طي 1، وهو جهلمة بن ادر بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن غريب بن يزيد بن كهلان بن يشجب بن يعرب بن قحطان، الشاعر المشهور بأبي تمام. ولم يكن هذا النسب يمثل إجماعًا عند كل الإخباريين، فقد أورد الحافظ بن كثير الدمشقي في نسبه إلى جده الأشج[2]، واقتصر بن النديم على اسمه الذي اشتهر به في أروقة النقد والأدب .[3]

وقد شغلت قضية تحقيق عروبته حيزًا كبيرًا لدى خصومه ومؤيديه على حد سواء، وشكلت فيما بعد مضماراً واسعاً للأخذ والنيل منه ومن شاعريته، فكانت شغل النقاد قديمًا وحديثًا، ولكل آراؤه وأسانيده.

وقد أورد صاحب البداية والنهاية، نقلاً عن أبي بكر محمد بن يحي الصولي أنه حكى عن بعض الناس، أنهم قالوا : (حبيب بن تدوس النصراني، فسماه أبوه أوس بدلًا عن تدوس ومما ذكر في هذا المقام قول دعبل الخزاعي في هجاء أبي تمام :

وَيلَكَ مَن دَلّاكَ في نِسبَةٍ * قَلبُكَ مِنها الدَهرَ مَذعورُ**

---

[1] / البغدادي، عبد القادر بن عمر، 1997 ،خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ،ط 4 ،ج1، ص 356- 357.

[2] /ابن كثير، أبو الفداء الحافظ ،د .ت، البداية والنهاية ، تحقيق أحمد عبد الوهاب، دار الحديث القاهرة، ج5، ص 312- 313 .

[3]/ابن النديم، محمد بن إسحق ، 1994، الفهرست ، تحقيق إبراهيم رمضان ، دار المعرفة بيروت ، ط1، ص 146.

لَو ذُكِرَت طَيٌّ عَلى فَرسَخٍ * أَظلَمَ في ناظِرِكَ النورُ**

وقال أيضًا أبو الوليد يهجوه بنصرانيته ونسبه:-

لَوْ أنَّ عَبْدَ مَنَافٍ في أَرُومِتِهِمْ * تَقَبَّلُوكَ لَمَا ضَرُّوا وَلاَ نَفَعُوا**

وَإنْ نَفَوكَ كما يَنفُونَ كَلْبَهُمُ * عَنِ الصَّمِيمِ أَصَابُوا الحَقَّ وَانْتَفَعُوا**

إنْ يَرْقَعُوا بِكَ خَرْقاً في أَدِيمِهِم * قالَ العِبَادُ جَمِيعاً: بِئْسَما رَقَعُوا**

مِرْبَاعُ قَوْمكَ نَاقُوسٌ وَشَمْعَلة * فَاذْكُرْ مَرَابِيَعُهمْ فِيهَا إذَا ارْتَبَعُوا**

وفي العصر الحديث أورد الدكتور طه حسين بأن بعض الكتاب الذين عاصروا أبا تمام وكتبوا عنه بعد موته قالوا :"إنَّ أبا تمام لم يكن من طئ في شئ، بل لم يكن من العرب أصلاً، وأوس هذا اسم صنعه أبو تمام وحرفه عن اسم أبيه الذي كان يعمل خماراً، وصواب الاسم هو (تيودرس) وهو اسم يوناني". وأصحاب هذا المذهب على حجة لا تخلو من قوة – في رأي طه حسين – فالنسب الذي يصل بينه وبين طي لا يصل إلى ستة عشر رجلاً، ومن الغريب أن يسقط هذا المسلسل في نسبه في وقت كان الحرص على الأنساب شديداً جداً، فضلاً عما نلحظه من نسبه القصير على خلاف معاصريه".[1] وفي مذهب طه حسين هذا نلحظ مبدأ الشك -الذي بنى عليه نظريته في الأدب العربي واضحاً، هذا وقد ذهب الذين باعدوا بينه وبين طائيته إلى أن والده كان خماراً وغير عربي، لكن الدكتور مصطفى الشكعة ذهب مخالفاً طه حسين بعدم وجود دليل واحد ينفي طائيته|، إذ يقول الشكعة في ذلك :(والمسألة في واقعها قد وجدت ارتياحاً عند بعض المستشرقين، الذين لم يحلوا لهم إلا المباعدة بين كل نابغة فذ وبين عروبته).[2] ولعلي أرجّح ما ذهب إليه الشكعة انطلاقاً من أزلية الصراع الحضاري والعرقي في هذا الشأن.

[1]/حسين، طه،د .ت ، من حديث الشعر والنثر،دار المعارف بمصر ، ص 94.

[2]/ الشكعة، مصطفى، 1973 م ،رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، دار النهضة العربية، ص 556.

هذا وقد أورد أنيس المقدسي أن الذي يمكن استخلاصه من شتى الروايات أن والد أبي تمام رجل مسيحي اسمه تدوس العطار، حرف بعد إسلام الشاعر إلى أوس، ويرجعون نسبه الي قبيلة طئ، ولذلك لقب بالطائي.[1]

مولده وموطنه :

أمَّا عن موطنه ونشأته فيقول صاحب الأغاني:" إنَّه ولد بناجية منبج بقرية منها يقال لها جاسم "[2]

ومنبج هذه بلد قديم نسب إليه كثير من الشعراء أمثال البحتري وأبي فراس، عرفت بعذوبة الماء وطيب الهواء.[3]

قال عنها أبو تمام:

أَيّامُنا مَصقولَةٌ أَطرافُها * بِكَ وَاللَيالي كُلُّها أَسحارُ**

نَدَى عُفاتُكَ لِلعُفاةِ وَتَغتَدي * رِفقاً إِلى زُوّارِكَ الزُوّارُ[1]**

وبذلك وصفه المسعودي بأنه – أي أبي تمام – حبيب بن أوس الجاسمي نسبه إلى جاسم، وهي قرية من أعمال دمشق بين بلاد الأردن ودمشق بموضع يعرف بالجولان علي بعد أميال من الجابية وبلاد نوى، وهي من مراعي أيوب عليه السلام.[4]

ولعلنا لا نجد اختلافًا حول مكان مولده بالقدر الذي كان حول نسبه، مع أنهم اختلفوا اختلافاً ليس بالكبير في السنة التي ولد فيها، والمتفق عليه أنه ولد أواخر القرن الثاني الهجري، فقد أورد الخطيب البغدادي: أنَّ أبا تمام ولد في قرية من قرى الجيدور- بفتح الجيم – آخر

---

[1]/ المقدسي، أنيس، 1977 م، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 11، 185).

[2]/ الأصفهاني، أبو الفرج ، 1983 ،الأغاني،الدار التونسية للنشر، 16، ص 303.

[3]/ الحصري، أبو إسحق إبراهيم بن علي ، 2011 م، زهر الآداب وثمر الألباب ، تحقيق محمد محي الدين، دار الجيل بيروت، ط4 .

[4]/ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن، 2000 م، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر، ط 1،ج 4 ، ص 67.

خلافة الرشيد سنة تسعين ومائة.[1] أما ما نقله صاحب معجم البلدان نقلًا عن تمام بن أبي تمام قال: ولد أبي في سنة ثمانية وثمانين بعد المائة، ومات سنة واحد وثلاثين بعد المائتين .[2]

صفته :

كان أبو تمام اسمر اللون، طويل القامة وفصيحاً كثير الفكاهة، حلو الكلام فيه تمتمة. وقد عرض مخلد بن بكار لهذه التمتمة في قوله.[3]

يا نبيَّ الله في الشـع * رِ ويا عيسى بن مريمْ**
أنتَ من أشعرِ خلق الْ * له ما لم تَتَكَلَّمْ**

وكان شديد الفطنة، قوي العارضة، حاضر البديهة قيل إنّه يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير القصائد والمقطوعات[4] وفي تحقيق مآثر الرجل يمكن إبراز الشواهد المختلفة.

فقد كان أبو تمام يتمتع بذكاء حاد جداً، لم يكن يعرف لشاعر من الشعراء الذين عاصروه على الأقل، فقد كان يحس الشئ قبل وقوعه، ومما ورد في سرعة بديهته وحضوره المدهش ما دار حول قصيدته التي امتدح بها أحمد بن المعتصم والتي مطلعها:

ما في وُقوفِكَ ساعَةً مِن باسِ نَقضي ذِمامَ الأَربُعِ الأَدراسِ

فلما وصل الي قوله:

إِقدامَ عَمرٍو في سَماحَةِ حاتِمٍ في حِلمِ أَحنَفَ في ذَكاءِ إِياسِ

قال له الكندي، وقد أراد الطعن عليه: الأمير فوق ما وصفت، فاطرق أبو تمام قليلاً ثم زاد في القصيدة

لا تُنكِروا ضَربي لَهُ مِن دونِهِ مَثَلاً شَروداً في النَدى وَالباسِ
فَاللَهُ قَد ضَرَبَ الأَقَلَّ لِنورِهِ مَثَلاً مِنَ المِشكاةِ وَالنِبراسِ[5]

---

[1]/ خزانة الأدب، مرجع سابق،ج، ص 356.

[2]/ الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، 1993 م ،معجم البلدان، دار صادر بيروت،ج2، ص 94.

[3]/المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، 1987 م، شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة، تحقيق خلف رشيد نعمان، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1.

[4]/ ضيف، شوقي، د.ت ، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف بمصر، ط 2 4.290

[5]/ الموشح، 402.

وفي تاريخ الأدب العربي للزيات: قال الفيلسوف الكندي للخليفة: مهما يطلب فأعطاه، فإن فكره يأكل جسمه، كما يأكل السيف المهند غمده.[1]

وإلى جانب هذه البديهة الخصبة، فقد امتاز أبو تمام بشي من العمق والغوص في الأفكار، لم يكن لغيره من الشعراء فضلاً عن حفظة لكل ما وقع عليه من أشعار، الأمر الذي يفسر لنا كثرة مؤلفاته واختياراته.[2]

كذلك كان أبو تمام شديد الاعتداد بالنفس، صبوراً في تحمل المشاق، مغامراً في سبيل الجاه والمال، وقد زادته كثرة أسفاره عزما وقوة[3] قال مخاطباً جليسته:[4]

دَعيني عَلى أَخلاقِيَ الصُمِّ لِلَّتي هِيَ الوَفرُ أَو سِربٌ تُرِنُّ نَوادِبُه

فهذه المحاور المتعددة خليقة بأن تكسبه كرم الأخلاق والمروءة وحب الإنفاق فقلما يبقى أبو تمام من عطاياه شيئاً فهو يقول في ذلك[5]

ذو الوُدِّ مِنّي وَذو القُربى بِمَنزِلَةٍ وَإِخوَتي أُسوَةٌ عِندي وَإِخواني

لا تُخلِقَن خُلُقي فيهِم وَقَد سَطَعَت ناري وَجَدَّدَ مِن حالي الجَديدانِ

ثم أن صاحب الأغاني قد ذكر أن أبا تمام على قدر عال من عزة النفس والكبرياء، فعند مدحه عبد الله بن طاهر أمير خراسان قصيدته[6]

هنَّ عوادي يُوسفٍ وصواحِبُه فعزماً فقدماً أدرك السؤلَ طالبُه

---

[1] /الزيات، أحمد حسن، د.ت ، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة القاهرة ، ص 291 .

[2] / من حديث الشعر والنثر مرجع سابق ، 97 .

[3] /المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، مرجع سابق، ص 189.

[4] / أبو تمام ، حبيب بن أوس،ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، ط 5، ص 47.

[5] / المرجع السابق، 314 .

[6] / الديوان مرجع سابق ، 47 .

نثر الأمير عليه ألف درهم ، فاستقلها أبو تمام ولم يمس منها شيئًا، وهو يعلم حقيقة فعلته، فأي عنفوان من هذا. [1]

وفوق هذا (فأبو تمام ليس بدعًا من شعراء زمانه) فقد كان ماجناً يحب اللهو والغناء منفقًا لماله في سبيل المسّرات والشراب، الأمر الذي أفضى به إلى فتور شديد تجاه فروضه وتدينه، قال المسعودي: (كان أبو تمام ماجنًا خليعاً ، وربّما أدى ذلك إلى ترك موجبات فرضه تماجناً لا اعتقاداً) [2].

وسنعرض أثناء حديثنا عن آراء النقاد في أبي تمام لمواضع هامة في حياته الأدبية والنقدية إن شاء الله.

أسرته :

أما عن أسرة أبي تمام، فإن المصادر التي ترجمت له ووقفنا عندها لم تذكر أي تفاصيل عن أسرته وعدد أفرادها، إلا ما كان من ذكر أبيه ودينه ومهنته، ويحدثنا الصولي عن أخ له يقال له سهم، وكان يقول الشعر، ومن شعره [3]

. ونازَعْتُهُ شَيئاً إليه مُبَغَّضاً فلما رأى وَجدْي به صار يَعْشَقُهْ

فَدَعْه ولا تحزَنْ على فائزٍ به فإنَّ جَديداتِ الَّليالي سَتُخْلِقُهُ

إلى جانب ما ورد يقيناً عن ابنه تمام أنّه نسب إليه شعر هو الآخر، ولكنه ضعيف جداً من مثل قوله عند ولاية محمد بن طاهر:

هنَّاكَ رَبُّ الناسِ هَنَّاكا ما مِنْ جزَيلِ المُلْكِ أعْطَاكاَ

قَرَّتْ بِما أُعطيتَ ياذَا الحِجَي والبَأسِ والإنْعامِ عَيْناكاَ

أَشْرقَتِ الأَرضُ بِما نِلتَهُ وَأَوْرقَ العُودُ لِنَجْواكاَ

فضلاً عن الموالي والخدم الذين لا يستغني عنهم أحد عادة، وقد وردت أخبارهم في مصادر متفرقة.

---

[1] / الأصفهاني ، أبو الفرج ،الأغاني، مرجع سابق مجلد 16، ص 308- 309 .

[2] / المسعودي مروج الذهب،مرجع سابق ، ج 7 ، ص 15 .

[3] / الصولي، أبي بكر محمد بن يحي ،1980 م، أخبار أبي تمام،تحقيق وتعليق خليل محمد وعساكر ومحمد عبده، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، ط3 ، 259 .

وفي سبيل الوصول إلى معرفته عن قرب وسبر أغواره يبقى لزامًا علينا أن نقف على أهم مواطن حياته، خاصة رحلاته التي ما كان لها أن تضع عصاها إلا قبيل وفاته بقليل.

والمتفق عليه في هذا الشأن أن أبا تمام انتقل من موطنه، وهو فتى إلى مصر[1] والتي مكث فيها خمس سنوات، وكان عمره إذ ذاك سبعة عشر عاماً، وبدأ عمله هناك يسقي الماء في المسجد الجامع، ولكن هذه المهنة لم ترض طموحه فتركها وهجر مصر بعدها.

وفي خيبة أمله في مصر يقول :[2]

أَخَمسَةُ أَحوالٍ مَضَت لِمَغيبِهِ وَشَهرانِ بَل يَومانِ نِكلٌ مِنَ النِكلِ
تَوانى وَشيكُ النُجعِ عَنهُ وَوُكِّلَت بِهِ عَزَماتٌ أَوقَفَتهُ عَلى رِجلِ
وَيَمنَعُهُ مِن أَن يَبيتَ زَماعُهُ عَلى عَجَلٍ أَنَّ القَضاءَ عَلى رِسلِ
لَقَد طَلَعَت في وَجهِ مِصرَ بِوَجهِهِ بِلا طالِعٍ سَعدٍ وَلا طائِرٍ سَهلِ

ثم عاد إلى حمص ثانية والتي سبق له المرور عليها أثناء رحلته الأولى، فاتصل بآل عبد الكريم الطائيين[3] ولكن المقام لم يطلب له هناك فاتجه صوب بغداد فالتقى هناك الشاعر الكبير دعبل الخزاعي الذي ناصبه العداء، - وهذا غالباً ما يكون بين الشعراء - إلى أن توفي أبو تمام، ثم رحل إلى الموصل ليلتقي هناك بالشاعر مخلد بن بكار ، ثم جاب الأقطار فزار خراسان ونيسابور وبلاد الجبل والحجاز وأرمينا [4] . فهذا السفر المتواصل عند أبي تمام قد شكل حياته التاريخية والأدبية والمذهبية.

وقد نلاحظ من خلال أشعاره فلسفته في رحلاته المتصلة، بل ذهب أبعد من ذلك إذ نراه يتحلل تماماً من الانتماء إلى وطن بعينه يقول في ذلك[5]

بِالشامِ أَهلي وَبَغدادُ الهَوى وَأَنا بِالرَقَّتَينِ وَبِالفُسطاطِ إِخواني
وَما أَظُنُّ النَوى تَرضى بِما صَنَعَت حَتّى تُطَوِّحَ بي أَقصى خُراسانِ

---

[1] / من حديث الشعر والنثر، مرجع سابق ، ص 99.

[2] /المرجع السابق، ص .419.

[3] /شرح مشكل أبيات أبي تمام،مرجع سابق، ص 17.

[4]/المقدسي أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، مرجع سابق ص 185.

[5] / الديوان،مرجع سابق، ص 305.

خَلَّفتُ بِالأُفُقِ الغَربِيّ لي سَكَناً قَد كانَ عَيشي بِهِ حُلواً بِحُلوانِ

فكان هذا دأبه الدهر سادراً يحل ببلدة ويمسي بغيرها، بل جعل من هذا النمط مذهباً فلسفياً له مقوماته، يقول أبو تمام:[1]

وَطُولُ مُقامِ المَرءِ في الحَيِّ مُخلِقٌ لِديباجَتَيهِ فَاِغتَرِب تَتَجَدَّدِ

فَإِنّي رَأَيتُ الشَمسَ زيدَت مَحَبَّةً إلى الناسِ أَن لَيسَت عَلَيهِم بِسَرمَدِ

فهو في هذه الأبيات يشير إلى فوائد السفر الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والتي انعكس تأثيرها إيجابًا على حياة شاعرنا، ومن نافلة القول الحديث عن السفر وفوائده المتعددة والتي أجمع عليها أهل العلم في القديم والحديث .

فمن خلال تطوافه انفتحت له أبواب واسعة للعلم والرزق، والذي كانت مدائحه للخلفاء والأمراء والقواد من أوسع مداخله.

وهكذا انقضت حياة أبي تمام – باستثناء العامين الأخيرين – فوق ظهور العيس، وليس أدلّ على ذلك من قوله:

خَليفَةُ الخِضرِ مَن يَرتَع عَلى وَطَنٍ في بَلدَةٍ فَظُهورُ العيسِ أَوطاني

وكان خلاصة هذه الرحلات الطويلة ديواناً كبيراً من الشعر والنثر حفلا باهتمام بالغ من الأدباء والنقاد، أمَّا عن مؤلفاته واختياراته، فقد كان أبو تمام واسع الثقافة يحفظ كل ما وقف عليه من أشعار، الأمر الذي مكنه من اختيارات ومؤلفات كثيرة منها:

1- كتاب الحماسة: وهو كتاب أظهر فيه أبو تمام مهارة عاليةً وذوقاً رفيعاً، حتى قيل إنه في اختياره أبلغ منه في شعره، وقد اتفق معظم من ترجموا له ابتداء من الصولي وحتى العصر الحاضر على ذلك.[2] وكان من جراء ذلك أن تتابع الانتخاب الأدبي على هديها فبلغ العدد عشرات المؤلفات على نسق حماسة أبي تمام [3]

2- الحماسة الصغرى وهي المسماة بكتاب الوحشيات وهي مقطوعات من القصائد كتبها وزاد في حواشيها محمود محمد شاكر.

---

[1] /المرجع السابق، ص 98.

[2] / الشكعة ، مصطفى،2004 م، مناهج التاليف عند العلماء العرب ، دار العلم للملايين، ط15، 489.

[3] / عليان، عبد الحميد مصطفى، 1984 م، تيارات النقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة الرسالة، ص 615.

3- كتاب فحول الشعراء: ويقع في ثمانية وتسعين ومائة ورقة كما ذكره عبد العزيز الميمني محقق الوحشيات وهو مجموعة من الأشعار لجاهليين وإسلاميين مرتبة على الموضوعات.

4- مختار أشعار القبائل ذكره عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب.

5- نقائض جرير والأخطل بتحقيق الأب أنطوان صالحاني اليسوعي ذكره محقق الوحشيات أن نسبته إلى تمام اختلاق قبيح،' وليس له علاقة بأبي تمام[1] البتة. [2]

ولأهمية حماسة أبي تمام وسبقها ، فقد حظيت بشروح كثيرة ، وذلك لما لها من عظيم الأثر في توجيه مقاصد علوم الأدب وإبراز أفضل الطرق في الانتخاب والاختيار.[3]

ومن أبرز شروحها :

1/ شرح أبي بكر بن محمد يحي الصولي ت 336هـ.

2/ شرح مشكل أبيات أبي تمام لـأحمد بن محمد المرزوقي ت 421هـ

3/ شرح التبريزي ت 502هـ نشره محمد عبده عزام القاهرة 1935م.

4/ شرح المشكل في أبيات أبي تمام والمتنبئ للمبارك بن أحمد الأربيلي ت 637هـ القاهرة.

5/ شرح شاهين عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1978م. وشروح أخرى ذكرها المستشرق اكسورد في فهرس برلين 7537.[4]

وفاته :

وكما اختلف الإخباريون في عام ولادته فقد اختلفوا أيضًا في السنة التي مات فيها، فقد أورد ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية، نقلًا عن إبراهيم بن عرفة أن أبا تمام توفي في سنة إحدى وثلاثين ومائتين وقيل ستة وثلاثين ومائتين .[5]

---

[1] / أبو تمام، حبيب بن أوس، 1978 م، الحماسة الصغرى كتاب الوحشيات ،تحقيق عبد العزيز الميمني ، زاد في حواشيه محمود محمد شاكر، طبعة دار المعارف، ص 5 .

[2] / المثنى، أبو عبيدة معمر، 1998 م، ديوان النقائض، نقائض جرير والفرزدق، دار صادر بيروت ، ط1.

[3]/ الحماسة الصغرى، 115.

[4] / ضيف، شوقي ، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص 67 .

[5] / البداية والنهاية، مرجع سابق ج9، ص 313.

ومما أورده الأنباري نقلًا عن ابنه تمام قال: قال تمام (ولد أبي سنة ثمانية وثمانين ومائة ومات في إحدى وثلاثين ومائتين.[1]

والمتفق عليه أنَّه مات في خلافة الواثق، وقد ورد في الخبر أنّه غُمّ بموت أبي تمام وذكر ذلك لأحد جلسائه وكان ذلك في إحدى وثلاثين ومائتين [2] أثناء توليه لمهمة بريد الموصل[3] فدفن هناك وبني عليه أبناء محمد بن حميد الطوسي قبة كبيرة باقية إلى يومنا هذا.[4]

وقد رثاه الخلفاء والوزراء والشعراء بمرثيات خالدة قال فيه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات:

نَبَأٌ أَتى مِن أَعظَمِ الأَنباءِ لَمّا أَلَمَّ مُقَلقِلُ الأَحشاءِ
قالوا حَبيب قَد ثَوى فَأَجَبتُهُم ناشَدتُكُم لا تَجعَلوهُ الطّائي

وقال أيضا:[5]

أَلا لِلَّهِ ما جَنتِ الخُطوبُ تُخُرِمَ مِن أَحبَّتنا حَبيبُ
فَماتَ الشِّعرُ مِن بَعد اِبن أوس فَلا أَدَب يُحَسُّ وَلا أَديبُ
وَكُنتَ ضَريبَ وَحدِكَ يا اِبنَ أوس وَهذا الناسُ أَخلافٌ ضُروبُ
لَئِن قَطَعَتكَ قاطِعَةُ المَنايا لَمَنكَ وَفيكَ قُطِّعَتِ القُلوبُ

وقال فيه الحسن بن وهب:

فجع القريض بخاتم الشعراء وغدير روضتها حبيب الطائي
ماتا معاً فتجاورا في حفرة وكذاك كانا قبلُ في الاحياءِ

وقال أيضا:

سقت بالموصل القبر الغريبا سحائبُ ينتحبن له نحيبا
إذا أطلعنه أطلقن فيه شعيب المزن منبعقاً شعيبا

---

[1] / ابن الأنبا ري، أبو البركات ، 1985 م، نزهة الالباء في طبقات الأدباء ،تحقيق إبراهيم السامرائي، دار المنار الزرقاء،ط3، 119.

[2] / اخبار ابي تمام، مرجع سابق، 272.

[3] / الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، 2002 م، الأعلام، دار العلم لملايين، ط15، ص 165 .

[4] / شرح مشكل ابيات ابي تمام،مرجع سابق 22.

[5] / أخبار أبي تمام،مرجع سابق، ص 278 .

ولطّمت البروق لها خدوداً وشققت الرعودُ لها جيوبا

مظاهر تجديد أبي تمام في الشعر :

من خلال دراستنا للشاعر العباسي حبيب بن أوس، وقفنا على عمق التجربة الشعرية التي عاشها، كما رأينا الفكرة العالية التي كانت بين جنبيه والتي رصعها بالعلم الغزير والثقافة الواسعة والأدب الوافر والشاعرية المتطلعة والباع العريض والفلسفة والمعاني الدقاق.

كل هذه الصفات جعلت منه محوراً معتمداً في خارطة الأدب والشعر العباسيين، ومن ناحية أخرى فرجل هذا شأنه لا بد أن يكون على ألسنة الخاصة والعامة، وهذا ما لا يتأتى إلا لشاعر في قامة أبي تمام حبيب بن أوس والذي أثار كل هذه الضجة في الساحة الأدبية في القرن الثالث الهجري وما بعده.

فقد عرف أبو تمام بأنه صاحب مذهب جديد في الشعر فهذا يعني أنه مبتدع لمنهج لم يسبقه عليه أحد، يقول عنه الصولي " وهو أي أبي تمام رأس في الشعر ، مبتدئ لمذهب سلفه كل محسن بعده ولم يبلغه فيه، حتى قيل المذهب الطائي.[1]

فقد أشار إلى تفرد أبي تمام وتميزه نفر غير قليل من أهل الدراية والمعرفة في الشعر ومقوماته فقد ذكر الآمدي أن أبا تمام كان يأخذ نفسه بثقافة عالية حتى قالوا إنه عالم، فقال إن شعره يعجب أصحاب الفلسفة والمعاني.[2]

ويظهر أنّه كان يحذق علم الكلام وأصوله، كما يحذق كثيرًا من الثقافات التاريخية والفلسفية والإسلامية واللغوية، حتى العقائد والنحل المختلفة [3] . ومن خلال هذا الواقع يتضح لنا أن ذلك الذي توصل إليه النقاد من حيث مذهبه الشعري، وتفرده الذي عرف به لم يكن اعتباطاً، بل كان نتائج لمقدمات موضوعية، أفرزت هذا المنحنى الرئيسي في تاريخ الأدب عمومًا والعباسي على وجه الخصوص.

وبما أنَّ لكل مذهب من منهج وطريقة فقد أقام أبو تمام مذهبه على الأسس الآتية :

---

[1] / أخبار أبي تمام مرجع سابق، ص 37 .

[2] / الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، 1991 م، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط 1، ص11.

[3] / ضيف ، شوقي ، الفن ومذاهبه في الشعر، دار المعارف بمصر، ط 8 ، ص22.

الإكثار من البديع بكل ألوانه، إكثاراً عرف به على غير الذي جاء به الشعراء قبله فالبديع عند أبي تمام لم يكن بالنسبة له سبق تاريخي، ارتبطت أوليته به ولكن علاقة البديع بأبي تمام قامت علة الإفراط والإهمال والصنعة المتكلفة، حتى أصبح أحد أهم دعائم مذهبه الشعري الذي أشرنا إليه.

وفي مقدمة الشاعر العباسي عبد الله بن المعتز في كتابه البديع يتضح ذلك فبعد الإشارة إلى مصادر البديع التي وقف عليها- قال ابن المعتز" ذلك ليعلم أن بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكن كثر في أشعارهم،' فعرف في زمانهم حتى سمى بهذا الاسم ، فأعرب عنه ودلّ عليه ثم أنَّ حبيب بن أوس من بعدهم شغف به حتى غلب عليهم فتفرع فيه، فأكثر منه فأحسن في بعض وأساء في بعض، وتلك عقبى الإفراط وثمرة الإسراف.[1]

فهذه الشهادة لأديب له علم تام وإدراك وافٍ بعلم البديع إذ يعتبر أول من خصّه بكتاب يحمل اسمه ويعتبر هذا الكلام في مقام النظر الأول فضلًا عما يلاحظه القارئ لديوان أبي تمام.[2]

فالحديث عن شغف أبي تمام بعيد الأغوار متجزر المنابع ، فقد نشأ أبي تمام في ظل الدولة العباسية ذلك العصر الذي انتقل فيه الأدب من الطريقة البدوية القديمة، إلى الطريقة الحضرية المولدة، طريقة التبسط والتأنق[3] التي كانت انعكاساً مباشراً للحياة العباسية، فصار أبو تمام لذلك إماماً في هذه الصنعة على أرجح الأقوال، وفي شعره من الشواهد على ذلك ما لا يمكن حصره في هذا المقام.

أما الأمر الثاني : فهو الحاجة إلى المعاني الدقيقة والأفكار العميقة، فقد خرج أبو تمام على الناس بلون في الشعر وهو يغوص على المعاني العقلية ثم يُعْمِل فيها خياله البعيد، ومن بعد يرسل لها ما يختار من ألفاظ، ومن يقرأ شعراً لأبي تمام يحس إحساساً واضحاً بأنه كان يشقى في بنائه واستنباط معانيه حتى يطلب الإغراب في شعره، ولعله اعتمد في ذلك على عدة

[1] /ابن المعتز، عبد الله ، 1983 م ، كتاب البديع ، دار المسيرة، ص1.

[2] / غصوب، محمد غصوب، عبد الله بن المعتز شاعراً، دار الثقافة قطر، الدوحة ط1 1986م، ص 19.

[3] / أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ،مرجع سابق، ص 19 .

مرتكزات: أهمها التصوير والذي غالباً ما يخالطه بالجناس والطباق والمشاكلة من نحو قوله في عتاب صديقه: [1]

لا تَبعَدَن أَبَداً وَلا تَبعُد فَما أَخلاقُكَ الخُضرُ الرُبا بِأَباعِدِ

ومن ناحية أخرى فقد اعتمد أبو تمام منهج التجسيم في أشعاره وضاع منه أخيلة رائعة من نحو قوله:[2]

وَرَكبٍ يُساقونَ الرِكابَ زُجاجَةً مِنَ السَيرِ لَم تَقصِد لَها كَفُّ قاطِبِ
فَقَد أَكَلوا مِنها الغَوارِبَ بِالسُرى فَصارَت لَها أَشباحُهُم كَالغَوارِبِ
يُصَرِّفُ مَسراها جُذَيلُ مَشارِقٍ إِذا آبَهُ هَمٌّ عُذَيقُ مَغارِبِ

كذلك القول في حظه من شعر الطبيعة وصفًا فقد شخص أبو تمام الطبيعة أمامه وجعل منها هيكلاً ماثلًا يدل على نفسه في صمت من نحو قوله:[3]

مِن كُلِّ زائِرَةٍ تَرَقرَقُ بِالنَدى فَكَأَنَّها عَينٌ عَلَيهِ تَحَدَّرُ
تَبدو وَيَحجُبُها الحميم كَأَنَّها عَذراءُ تَبدو تارَةً وَتَخَفَّرُ
حَتّى غَدَت وَهَدائُها وَنِجادُها فِئَتَينِ في خِلَعِ الرَبيعِ تَبَختَرُ

فهذه الدعائم التي أشرنا إليها وغيرها مما تفرد به أبو تمام هي التي أدت بالقول إلى أنَّ أبا تمام له مذهب خاص في شعره، وعلى ذلك قال ابن الخثعمي الشاعر جُنَّ:

أبو تمام في قوله :

تَروحُ عَلَينا كُلَّ يَومٍ وَتَغتَدي خُطوبٌ كَأَنَّ الدَهرَ مِنهُنَّ يُصرَعُ

فقد كان أبو تمام مستودع كثير من المعارف، فبعد أن انتظم هذا التراث الضخم في عقله حاول أن يصل إلى سبيل جديد في الشعر، والذي لم يكن هو الآخر ممهدًا ميسورًا، فقد دأب النقاد بنفاد المعاني وأنه لا طائل من محاولة استنباط معان جديدة، الأمر الذي شكل تحدياً كبيراً لأبي تمام أملى عليه إبطال هذه الأفكار والتصدي لتلك الدعاوى وأبى على نفسه إلا أن

[1] / المرجع سابق، ص 86 .

[2] / الديوان، مرجع سابق، ص 45.

[3]/. الديوان، مرجع سابق، ص 148 .

يكون صاحب قدم ثابتة في الابتداع والاختراع والاتكاء على نفسه فيما يستنبطه من المعاني، لذلك أعلنها داوية.[1]

وَلَو كانَ يَفنى الشِعرُ أَفناهُ ما قَرَت حِياضُكَ مِنهُ في العُصورِ الذَواهِبِ
وَلَكِنَّهُ صَوبُ العُقولِ إِذا اِنجَلَت سَحائِبُ مِنهُ أُعقِبَت بِسَحائِبِ

ويقول أيضًا:

أَمّا المَعاني فَهيَ أَبكارٌ إِذا نُصَّت وَلَكِنَّ القَوافي عونُ
أَحذاكَها صَنَعُ اللِسانِ يَمُدُّهُ جَفرٌ إِذا نَضَبَ الكَلامُ مَعينُ

فأبو تمام بحكم استيعابه للجيد من الشعر وما اختزنته ذاكرته من الأفكار والمعاني كان يقف على بعض المعاني المتداولة فيضيف إليها أو يتوسع فيها أو يستقصيها أو يستنبط منها فكرة جديدة، فإذا ما عركها ولانت له قيادتها، تناولها بروح جديدة وثابة فتبدو وكأنها أفكار جديدة وطريفة، وهو حين يقوم بهذه المهمة فإنه يتحرى الغرض الذي يريد تحقيقه، ويجعل منه هدفًا أساسيًّا. وقد تعرضه بعض القيود اللغوية والبلاغية لكنه سرعان ما يخرج عليها وعلى أذواق الناس المعتادة في سبيل الوصول إلى غايته فهو أبدًا ثائر ومجدد.

و إذا ما أحس أن شعره قد خلا من لفح العاطفة وشدة الانفعال فلا يدعه يمضي هكذا – وهو الحاذق الماهر في قضيته -- لكنه سرعان ما يلجأ إلى المحسنات البديعية لتحسين موقعه الجمالي في النفوس وليخفف من جفاف المعنى وعسر حضوره الذي يبدو أحيانًا حتى لعمالقة الشعر وما هي إلا بعض اصطلاحات حتى يخرج بعدها بقافية شرود ومعنى عميق، وهذه أيضًا إحدى السمات المميزة للشاعر أبي تمام.

ومن هنا فإن قدرته على التجريد العقلي والنفسي كشفت له أبعاداً أخرى ونوعاً من التآلف بين المعاني فليست ثمة معنى قريب عن الآخر وإن بدا ظاهراً مبايناً لسواه. وقد تجسد مذهب أبي تمام الشعري في الصورة والتعبير لا في الإطار العام للقصيدة، وفي واقع الأمر فإن كل قضية في الشعر عند أبي تمام قد وجدت حظها من البحث والدراسة عند النقاد، وفي هذا السبيل تناول

[1] / المرجع السابق، ص4.

النقاد المعاني التي تفرد بها أبو تمام فقد ذكر أبو علي محمد بن أبي العلاء السجستاني أن المعاني التي انفرد بها لا تزيد عن الثلاثة . منها قوله :

وَإذا أَرادَ اللَهُ نَشرَ فَضيلَةٍ طُوِيَت أَتاحَ لَها لِسانَ حَسودِ
لَولا اِشتِعالُ النارِ فيما جاوَرَت ما كانَ يُعرَفُ طيبُ عَرفِ العودِ
لَولا التَخَوُّفَ لِلعَواقِبِ لَم تَزَل لِلحاسِدِ النُعمى عَلى المَحسودِ

أمَّا الآمدي فبالرغم من تحامله على أبي تمام فقد أكد أن لأبي تمام مخترعات وبدائع مشهورة[1]. ولعلَّ ابن الأثير أكثر إنصافًا للرجل من صاحبيه فقد أورد في كتابه منوهاً بفضل أبي تمام ذاكراً أنَّ أبا تمام من أكثر الشعراء المتأخرين ابتداعاً للمعاني، فقد عُدت معانيه المبتدعة، فوجدت ما يزيد على العشرين معنى، وأهل الصناعة يكبرون ذلك، وما ذلك من مثل أبي تمام بكثير.[2] والعبارة الأخيرة من كلام ابن الأثير تنبئ بجلاء عن مدى الثقة المركزة عندهم في أبي تمام. ومما يقوي هذا الاتجاه ما أورده ابن رشيق القيرواني: فبعد أن أشار إلى شاعرية أبي تمام ذكر أنه من أكثر المولدين اختراعاً وتوليداً للمعاني.[3]

ونختم هذا المبحث بشهادة أبي بكر الصولي الذي أكد مقدرة أبي تمام الفائقة في ابتكار المعاني الجديدة وتميزه الواضح في معالجة معاني غيره ، قال الصولي: "وليس أحد الشعراء – أعزك الله- يعمل المعاني ويخترعها ويتكئ على نفسه فيها أكثر من أبي تمام، ومتى أخذ معنى زاد عليه ووشحه ببديعة، وتمم معناه فكان أحق به.[4]

وفي مسألة تداول المعاني أو ما عرف عند النقاد بالسرقات الأدبية، وهي قضية شغلت النقاد ردحًا من الزمان، فهي ورغم أحكام ضوابطها فإن ما أجمع على ما أخذه أبو تمام من غيره كان له قالبه الخاص بإضافته ومعالجته له وإخراجها في ثوب خاص به، يعد مظهر من مظاهر

---

[1] /الآمدي، الموازنة مرجع سابق، ط1، ص 138.

[2] / ابن الأثير، ضياء الدين ، 1998،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، شرحه وحققه الشيخ كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية بيروت، ج2، ص 32 .

[3] /ابن رشيق، أبو علي الحسن، 200 م، العمدة، تحقيق حسين عبد الواحد، مكتبة الخانجي، ط1، ص89 .

[4] / أخبار أبي تمام،مرجع سابق، ص 53.

تجديد أبي تمام للشعر، بعيداً عما عرف في ذلك الزمان بالاصطراع، (وهو أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه لنفسه).

فمنهج أبو تمام في هذه القضية هو إخفاء المعنى المأخوذ أو قلبه عن وجهه الذي جاء به ليؤكد على قدرته وفائق مهارته، وليس بعيداً عن هذه مسألة الوصف عند القدماء والتي كان محورها الناقة والصحراء وغيرها من حياة البادية، وما جاء أبو تمام حتى أضفى على موصوفة الفكرة الرومانسية والتي لم تكن معروفة بهذا الاسم في ذلك الوقت[1].

كذلك مما يمكن أنْ يحسب لصالح منهج أبي تمام التجديدي، الشعر الذي يخاطب النفس فقد حاول أبو تمام النفوذ من طريق الشعر إلى إضافة بعض الخواطر والصور الجديدة من نحو ما قاله في كوارث الزمان التي عصفت به قال أبو تمام:

وَكُنتُ اِمرَءاً أَلقى الزَمانَ مُسالِماً فَآلَيتُ لا أَلقاهُ إِلّا مُحارِبا

وفي منحنى آخر يتحول إلى رجل الثورة الذي يدعو إلى مكارم الأخلاق وشحذ همم الشباب والرجال للوقوف بقوة حفاظًا على تراث العرب وأمجادهم.

يقول في ذلك [2]

وَلَولا خِلالٌ سَنَّها الشِعرُ ما دَرى بُغاةُ النَدى مِن أَينَ تُؤتى المَكارِمُ

فأبو تمام بهذا فقد انتهت إليه معاني المتقدمين والمتأخرين فاستخرج من جملة ذلك طريقته، التي آثر بها تجويد المعنى على تسهيل العبارة كما اختص ببراعة فائقة في الاستدلال على الأمور بالأدلة العقلية والكنايات الخفية، وكل ذلك أحد ثمرات العلوم الفلسفية والعصرية السائدة .

يقول أبو تمام مستخدمًا مصطلحات النحاة والفقهاء واصفًا الخمر:

خَرقاءُ يَلعَبُ بِالعُقولِ حَبابُها كَتَلَعُّبِ الأَفعالِ بِالأَسماءِ

وَضَعيفَةٌ فَإِذا أَصابَت فُرصَةً قَتَلَت كَذَلِكَ قُدرَةُ الضُعَفاءِ

جَهمِيَّةُ الأَوصافِ إِلّا أَنَّهُم قَد لَقَّبوها جَوهَرَ الأَشياءِ

وَكَأَنَّ بَهجَتَها وَبَهجَةَ كَأسِها نارٌ وَنورٌ قُيِّدا بِوِعاءِ

[1] / الشكعة د.مصطفى ، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، عالم الكتب ، بيروت ، 1981م ؟، ص 486

[2] / الديوان، مرجع سابق، ص 270.

ويقول أيضًا:[1]

إذا بَدا لَكَ مُرٌّ في كَتائِبِهم لَم يُحجَبِ المَوتُ عَن روحٍ وَلا بَدَنِ

كَم في العُلى وَالمَجدِ مِن بِدَعٍ إذا تُصُفِّحَت اِختيرَت عَلى السُنَنِ

وقد ذكر التبريزي في شرحه لديوانه، أنه تناول لفظي الجوهر والعرض – وهما من ألفاظ أهل الكلام – والجوهر عندهم أثبت من العرض . من نحو قوله :

صاغَهُمُ ذو الجَلالِ مِن جَوهَرِ المَجـ دِ وَصاغَ الأَنامَ مِن عَرَضِه

إذا رَمَوا عُروَةً إِلَيكَ فَقَد أَتَيتَ حَوضَ الأَنامِ مِن فُرَضِه

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله سيد ولد آدم أجمعيين.

إنّ الحديث عن قضية أبي تمام الشعرية يعدّ من شاكلة القضايا المعقدة، لأنه اختص نفسه بمذهب متفرد في الشعر قوامه الإغراب والغموض والمعاني الدقيقة، وقد كان هذا بسبب تلاقح الحضارة الإسلامية العربية بكل مقوماتها، مع ما جاءت به الحضارات الأجنبية التي شكلت مزيجاً ناصعاً أفاد منه أبو تمام في إضافة وجه جديد للشعر العربي.

وأبو تمام بمنهجه هذا قد جعل من العملية الشعرية مرآةً تعكس الواقع الثقافى والاجتماعى. إضافة إلى إبراز أنماط جديدة فى الشعر وفنونه؛ سيما الصنعة التى أكثر منها حتى عرف بها وانتهى المذهب عنده إلى الغاية التى يرنو إليها شعراء العصر العباسى فى القرن الثالث الهجرى وعلى ذلك يمكن أن ننسب فضيلة البداية المنظمة فى الصنعة والزخرف والتأنق اللفظى وشوارد المعانى وجميل المبانى إلى أبى تمام، وهو رائد لا ينازع، وقد أجمع النقاد على ذلك.

وتوصلت الدراسة إلى نتائج منها:

1. إن أبا تمام قد أثار مسائل فى الأدب والنقد ظلت ساكنةً ردحاً من الزمان، وأتى بالجديد فتنازع الناس حوله قدحاً ومدحاً.

[1] / الديوان، مرجع سابق، ص 316 .

2. إن ظهور أبي تمام كان إيذاناً بأفول نجوم كثيرة من الشعراء الذين عاصروه .
3. إن أبا تمام ذو صلة عميقة بالشعر العربي قديمه وحديثه، وقد أفاد منه في بناء الأدب وتوليد المعانى، فالباحث فى أشعاره يتضح له أنه رجلُ مترفع عن الصغائر، معتزٌ بنفسه، تجاوز كل هزليات عصره إلى الجد والمجد، حيث تجاوز الواقع الاجتماعي الذي أفرده أبو نواس وأمثاله بتوجيه الشعر إلى الخلافة ومكارم النفوس، فلا غرو أن بلغ أبو تمام هذه المنزلة الرفيعة عند أكابر القوم في زمانه.
4. وكذلك يرى الباحثان ولع أبي تمام الزائد بالبديع وألوانه والإغراب وصنوفه، والجديد ومجالاته، وبهذا يُعدُّ أبي تمام رائداً للصنعة والتجديد في العصر العباسي رغم تميزه بأبكار المعاني وشوارد القوافي وسرعة البديهة ويقظة الخاطرة.

توصي الدراسة بمعالجة ديوان أبي تمام بحيث يفيد منه الدارسون خاصة فيما تميز به عن غيره من الشعراء والأدباء.

المصادر والمراجع

1. ابن الأثير، ضياء الدين، 1998م ،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، شرحه وحققه الشيخ كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية بيروت 32 .
2. ابن الأنبا ري، أبو البركات، 1985 م، نزهة الالباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، دار المنار الزرقاء، ط3.
3. ابن المعتز، عبد الله، 1983 م، كتاب البديع ، دار المسيرة.
4. ابن النديم، محمد بن إسحق، 1994م ، الفهرست ، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت، ط1.
5. ابن رشيق، أبو علي الحسن، 200 م، العمدة ،تحقيق حسين عبد الواحد، مكتبة الخانجي، ط1.
6. ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ ،د .ت البداية والنهاية ، تحقيق أحمد عبد الوهاب ، دار الحديث القاهرة
7. أبو تمام، حبيب بن أوس، 1978 م، الحماسة الصغرى كتاب الوحشيات ،تحقيق عبد العزيز الميمني، زاد في حواشيه محمود محمد شاكر، طبعة دار المعارف.
8. أبو تمام، حبيب بن أوس،ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، ط 5.
9. الأصفهاني، أبو الفرج، 1983 م، الأغاني،الدار التونسية للنشر.

10. الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، 1991 م، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط 1.
11. البغدادي، عبد القادر بن عمر، 1997 م، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ،ط 4 .
12. حسين، طه،د. ت، من حديث الشعر والنثر،دار المعارف بمصر.
13. الحصري، أبو إسحق إبراهيم بن علي، 2011 م، زهر الآداب وثمر الألباب ، تحقيق محمد محي الدين ، دار الجيل بيروت ، ط4 .
14. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ، 1993 م ،معجم البلدان، دار صادر بيروت.
15. الزركلي ،خير الدين بن محمود بن محمد ، 2002 م، الأعلام، دار العلم لملايين ، ط15.
16. الزيات، أحمد حسن، د.ت ، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة القاهرة.
17. الشكعة، مصطفى،2004 م، مناهج التاليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين، ط15.
18. الشكعة د.مصطفى،1981م، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، عالم الكتب، بيروت.
19. الصولي، أبي بكر محمد بن يحي ،1980 م، أخبار أبي تمام ،تحقيق وتعليق خليل محمد وعساكر ومحمد عبده ، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، ط3.
20. ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر، دار المعارف بمصر، ط 8.
21. ضيف ، شوقي، د.ت ، تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف بمصر، ط 2 .
22. عليان، عبد الحميد مصطفى، 1984 م، تيارات النقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة الرسالة.
23. غصوب، محمد غصوب، 1986 م، عبد الله بن المعتز شاعراً، دار الثقافة قطر، الدوحة ط1.
24. المثنى، أبو عبيدة معمر، 1998 م، ديوان النقائض، نقائض جرير والفرزدق، دار صادر بيروت، ط1.
25. المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، 1987 م ، شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة ، تحقيق خلف رشيد نعمان، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1.
26. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن، 2000 م، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر، ط 1.
27. مصطفى، 1973 م ،رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، دار النهضة العربية.
28. المقدسي، أنيس، 1977 م ، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، دار العلم للملايين، بيروت ،ط11.